الشيخ عجمي السعدون 1911 – 1918 الصراع و النضال

أ.م.د. عماد جاسم حسن

كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ذي قار

المقدمة :

تعد دراسة التاريخ المحلي و بالتحديد إمارة المنتفك من الدراسات الصعبة و التي تواجه عقبات جمة لافتقارها إلى مصادر أساسية كالوثائق ذات المعلومات الغزيرة ، وذلك لعدم الاحتفاظ و قلة التدوين للأحداث التاريخية التي مرت بها تلك المدن والمناطق ، و بالتالي الاعتماد على ما كتب من مذكرات و تقارير حكومية أو ما كتبه قوى الاحتلال التي كانت تفرض سيطرتها على تلك المناطق ، ومن ثم فان تلك المعلومات قد لا تعطي الصورة التاريخية الواضحة لأنها تكتب حسب أهواء و مصالح تلك الدول و الحكومات . و إذا كان ذلك الأمر يواجه صعوبة ، فان دراسة شخصية واحدة في تلك المرحلة ربما تكون المهمة أصعب بسبب قلة المعلومات المتوفرة عنها و كذلك الوثائق الخاصة بها ، إذ لا بد من الاهتمام بالجوانب السلبية و الايجابية ، فضلاً عن الواقع التاريخي الذي يفرض على الباحث أن يغض النظر عن السلب و الإيجاب ، و يركز على ما هو واقع تاريخي و يثبته بالأدلة و الوثائق ، لكن هذا لا يعني المستحيل في القيام بمثل تلك الدراسات ، الأمر الذي دفع الباحث لدراسة واحدة من الشخصيات التي ادت دوراً مهماً في تاريخ المنطقة عموماً و المنتفك خاصة و تحديداً إمارة السعدون التي أنجبت عدداً من الشخصيات التي لم تقتصر زعامتها على السعدون بل على المنتفك و منهم الشيخ عجمي بن سعدون الذي هو موضوع البحث.

تتناول الدراسة الشيخ عجمي السعدون 1911– 1918 الصراع و النضال و جاء اختيار عام 1911 بداية لموضوع البحث بسبب وفاة والده و تولي الشيخ عجمي زعامة السعدون، أما توقف البحث في عام 1918 بسبب انتهاء الحرب العالمية الأولى و اضطرار الشيخ عجمي مغادرة العراق إلى استنابول في الدولة العثمانية .

ويرسم عنوان البحث صورة واضحة لمضمونه إذ أن اختيار عنوان الصراع و النضال لان السنوات الأولى التي تزعم فيها الشيخ عجمي مشيخة السعدون خاض صراعاً مريراً و طويلاً معقداً ضد العشائر أولا و الصراع مع طالب النقيب ، و استمرار تلك الصراعات حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914 لتنتهي تلك المرحلة من حياة الشيخ عجمي و تبدأ مرحلة أخرى هي النضال و المقاومة و الوقوف بوجه القوات البريطانية التي دخلت العراق منذ بداية تلك الحرب.

بدأ الشيخ عجمي زعامة السعدون متأثرا بحادثة اغتيال والده ، و لذا عزم على الثار لذلك و القصاص من الأشخاص الذين عدّهم مسؤولين عن ذلك الحادث ، واخذ يصارعهم كما حاول الاستفادة من القوى الأخرى لزيادة اعداد قواته و تحالف مع أمير حائل الذي أسنده في أكثر من محاولة في صراعه مع العشائر و طالب النقيب. كما تطرق البحث إلى محاولة الشيخ عجمي إنهاء صراعاته عن طريق الدولة العثمانية من خلال الرسائل التي بعثها إلى الحكومة العثمانية و عندما لم يحصل على إجابة واقعية فأنه لجأ إلى الأسلوب العسكري ، اذ وقعت عدة صدامات مسلحة بين الطرفين على الرغم من الوساطات التي حاولت إنهاء الخلافات بينهما لكن ذلك لم ينفع و استمرت العداوات حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى التي تعد المرحلة الثانية و التي اصطلحنا عليها في عنوان البحث (النضال) و التي انخرط فيها الشيح عجمي إلى جانب الدولة العثمانية و تزعمه العشائر لمواجهة الغزاة البريطانيين ،حيث انظمت اليه جموع المجاهدين التي كان يقودها السيد الحبوبي والتي ظمت المتطوعين من ابناء الكاظمية وكربلاء والنجف والسماوة والناصرية وغيرها من المدن العراقية الأخرى ،وعلى الرغم من المحاولات البريطانية الرامية إلى كسبه ، ألا انه أبى و رفض الإغراءات التي قدمت له و استمر يدافع و يقاوم جيوش الاحتلال حتى انتهاء الحرب عام 1918 و توقيع هدنه مودروس و من ثم خروجه من العراق ليستقر في اسطنبول التي كُرِّم و توفي فيها لخدماته و تضحياته التي قدمها خلال الحرب.

الأحداث التي عاصرها في الأيام الأخيرة لحكم والده

بعد ان تمتعت إمارة المنتفك بقوة كبيرة لمدة طويلة جعلتها تدخل ضمن نطاق القوى الإقليمية المعروفة آنذاك ، اخذ الضعف و الانحلال يدب في أوساطها بسبب الخلافات التي نشبت بين زعمائها و بخاصة في عهد فالح باشا السعدون و سعدون باشا السعدون ، و استمرت تلك الخلافات حتى وفاة فالح باشا عام 1908 ، اذ فرغت الساحة أمام سعدون باشا لكي يكون الزعيم المطلق في أراضي المنتفك مما جعل والي بغداد ناظم باشا ان يستخدمه للسيطرة على كل عشائر المنتفك من خلال تعيينه متصرفاً للناصرية ، الأمر الذي أدى إلى تذمر واضح بين زعماء العشائر في لواء المنتفك ، وقد دفع ذلك الآمر والي بغداد إلى إرسال لجنة لتقصي الحقائق عام 1911 ، التي رأت أن يعاد توزيع الأراضي بشكل يضمن العدالة بين جميع العشائر و قد حاول سعدون باشا ان يحافظ على نفوذه و يمتنع عن تنفيذ رأي اللجنة إلا أن الوالي سحب كل تأييد رسمي منه[1].

و نتيجة لذلك حاولت قبيلة البدور السيطرة على منطقة (المايعه)[2] و الأراضي المحيطة بها و التي هي مركزهم الأساس ، ألا أنها خضعت لسيطرة الشيخ سعدون بفعل سلطته الرسمية من قبل الدولة العثمانية ، إلى ان سحبت الحكومة العثمانية يدها منه مما أدى إلى ان تقوم عشائر البدور بمحاصرة الشيخ سعدون و محاولة طرده من تلك المنطقة ، ألا ان ابنه الشيخ عجمي[3] تمكن من فك الحصار عن والده ، وادت تلك الحادثة الى آثر نفسي عليه و جعله يتحين الفرصة المناسبة للإيقاع بهم ، و قد حدث ان حاولت عشيرة البدور طي صفحة الماضي و وضع حد للخلافات و النزاع المستمر مع السعدون ، و استغلوا مناسبة حلول عيد الأضحى عام 1911 وقرروا زيارة الشيخ عجمي لتقديم التهنئة بتلك المناسبة ، فذهب ستة من شيوخ البدور ، وعندما جلسوا في المضيف أمر الشيخ سعدون ولده عجمي بقتلهم ، ونفذ الأخير ذلك الأمر و قضى عليهم جميعاً ما عدا الشيخ نون الذي تمكن من الفرار و النجاة بنفسه [4].

وفي ضوء ذلك قررت عشائر البدور الثأر لما حصل وقامت بمحاصرة مدينة الناصرية تساعدها في ذلك عشائر ألغزي و الجوارين و العساجرة و الحسينات و الازيرج و بعد معارك عنيفة و توسط السلطات العثمانية بين الطرفين اجبر الشيخ سعدون على مغادرة الناصرية في حزيران عام 1911 و توجه إلى مدينة البصرة[5] .

و بعد خروجه من مدينته بتلك الطريقة ، آل على نفسه ان ينزل بتلك العشائر اشد العقاب حتى و لو بذل فيها دمه. اذ نزل في مدينة الزبير يراقب و يرصد الإحداث ، و أثناء ذلك سمع عودة صديقه طالب النقيب (نائب البصرة في مجلس المبعوثان العثماني) من اسطنبول ، فأراد مواجهته ليتعرف منه على أخر أخبار العاصمة ، فكتب له رسالة بهذا الخصوص ، فرحب به و اعلمه ان لا مانع من دخوله البصرة[6].

و بعد دخوله أليها ، اقترح طالب النقيب على الشيخ سعدون ان يقوم الأخير بمقابلة الوالي حسين حسني أفندي الذي كان ينتظره على المركب مسعودي[7]. وما ان نزل الشيخ سعدون في المركب حتى طوق و القي القبض عليه و جرى تسفيره في اليوم نفسه إلى بغداد خوفاً من سماع المنتفك بذلك الأمر ، فوصلها في 27 تموز 1911 ، ونزل في قلعة المدفعية ، ثم نقل في 20 آب إلى حلب لغرض محاكمتهِ لكنه توفي قبل ذلك في أوائل كانون أول 1911[8] ، و تشير الدلائل إلى انه مات مسموماً من قبل العثمانيين[9] .

و يبدو ان تلك الخديعة التي قام بها طالب النقيب ، أراد من خلالها ان يتبوأ المكانة التي كان عليها الشيخ سعدون ، بل انه أراد ان يسيطر على المنطقة التي أخذت لسنين طويلة تدين بسلطة آل سعدون عليها ، و تخضع إلى لوائها ، وفي الوقت نفسه فجرت تلك الحادثة صراعاً دموياً بين النقيب والشيخ عجمي فيما بعد . و بعد وفاة الشيخ سعدون تولى زعامة المنتفك ابنه الشيخ عجمي الذي تصدى للمهمة لملأ مكان أبيه[10]. و قد ألقى تبعة وفاة والده على والي البصرة و طالب النقيب[11].

و لعل ذلك الأمر يبرر سوء علاقته بهم و اخذ يتربص للإيقاع بهم ، و لذا أصبح في حالة عداء دائم معهما.

و مما تجدر الإشارة أليه ، ان الحكومة العثمانية قد عدته خارجاً عن القانون و أسندت مشيخة آل سعدون إلى أبناء فالح باشا ، ألا ان ذلك الأمر لم يستمر طويلاً ، اذ تمكن الشيخ عجمي من انتزاع المشيخة من خصومه و من ثم الاعتراف له بزعامته لأسرة ال سعدون من المنتفك[12] .

و على الرغم من عدم رضا الدولة العثمانية عن تصرفات الشيخ عجمي ، إلا انه استطاع ان يكسب ودها بعد مدة وجيزة من توليه زعامة آل سعدون و أقامة علاقات طيبة و حميمة مع متصرف لواء المنتفك الجديد فريد بك الذي تم تعيينه بعد وفاة الشيخ سعدون[13].

و في ضوء تلك الإحداث و ما حصل في مشيخة السعدون و لواء المنتفك ، يجدر بنا ان ندرس زعامة الشيخ عجمي على مرحلتين ، تتمثل الأولى في صراعه مع العشائر و طالب النقيب من اجل تثبيت نفوذه في المنطقة و الثار لوفاة والده من خصومه ، والمرحلة الثانية تبحث في جهاده و نضاله ضد البريطانيين عند احتلالهم للعراق 1914.

مرحلة الصراع مع العشائر و طالب النقيب

ان المهمة الأساسية التي جند لها الشيخ عجمي نفسه كانت الثار من خصومه ، ولذا اتجه إلى إمارة حائل في شبه الجزيرة العربية أوائل عام 1912 و عقد حلفاً مع أميرها سعود بن عبد العزيز الرشيد ، ولم يقتصر الأمر على الحلف بل انه وطد علاقته معه بزواجه من إحدى قريباته ، كما انه طلب العون و المساعدة منه ، و على الرغم من أكرامه و رجاله بالهدايا و التحف من سلاح و خيل ، ألا انه أبى ان يأخذ شيئاً ، و اقتصر طلباته قائلا(انه لا يريد منهم طراد يوم بل طراد ساعة واحدة) [14] أي انه يريد معونتهم عسكرياً و ليس مادياً ، و هذا التصرف أكبره في عيون الجميع ، لذلك بادر الأمير سعود بن عبد العزيزالرشيد إلى حشد الجنود و تكوين جيشاً لمساعدة الشيخ عجمي ، و خرجا من حائل كلاً يقود قسماً من الجموع لمقاتلة عشائر الظفير[15] و جرت معركة بين الطرفين في نيسان عام 1912 ، انتهت بهزيمة الظفير ومن معهم من العشائر الأخرى[16] .

يتضح مما تقدم الأسلوب السياسي الذي اتبعه الشيخ عجمي في تحالفه مع أمير حائل ومحاولة كسبه قوة اضافيه لعشائره ، اذ لم يجازف بمفرده في خوض المعارك و إنما استعان بقوة أخرى للوقوف إلى جانبه في صراعه مع العشائر ليضمن كسب المعركة و تحقيق أهدافه ، و في الوقت نفسه ، ان ذلك الدعم و الإسناد الذي حصل عليه جعله في دوامة الصراع مع العشائر التي عدها مسؤوله عن قتل والده . والتخطيط بشتى الوسائل للنيل منها .

و من ذلك الوقت ، أصبح اسم الشيخ عجميي لامعاً في سماء الدولة العثمانية لدرجة انه خلال مدة الدعوة إلى انتخابات الدورة النيابية الثانية لمجلس المبعوثان (النواب) دعت صحيفة صدى بابل إلى انتخابه ، اذ عززت دعوتها على أساس ما وصفته بخضوعه للحكومة و سهره على ضمان امن و استقرار المنطقة[17] .

بعد الانتصار الذي حققه الشيخ عجمي اخذ يسعى جاهداً لجمع العشائر حوله ، و نتيجة لتلك الجهود ، انضمت أليه عشائر متعددة من المنتفك وبني أسد و عشائر مطير و عتبه و شمّر، كما وردته و هو في شقره قسماً من عشائر البدور (السعيد ، الفواز ، الزيارة ، المطيرات) تطلب الصلح معه بعد خلافات الماضي فصالحها و ضمها إلى عشائره ، ثم وفد أليه ألف محارب من أهل القصيم و زودهم بالخيل و السلاح ، و لم يبق للشيخ عجمي من أعداء سوى عشائر الظفير الذين غارت عليهم إحدى سراياه قرب الخضر على طريق السماوة ، وعقب ذلك استعان بابن الرشيد ثانية ، فقدم أليه و حدثت محاولات للمصالحة مع الظفير شارك فيها قائمقام السماوة سلطان بك ، وانتهت بصلح أنهى الخلافات بين الطرفين[18].

وعندما وجد الشيخ عجمي ان الأوضاع شبه مستقرة مع العشائر ، انظم إلى حزب الاتحاد و الترقي ، وكان يهدف من وراء ذلك ان يكون هذا الحزب مسانداً له ضد عدوه طالب النقيب[19] .

و قبل ان يبدأ بحركته الفعلية في محاربة الأخير ، حاول ان يعالج الأمور معه عن طريق الدولة العثمانية من خلال إرساله عدد من البرقيات و الرسائل لكي يحد من تصرفاته اذ أرسل في عام 1912 رسالة إلى وزارة الداخلية العثمانية يعلمها بتحركات و تصرفات طالب النقيب السياسي ، ويخبرهم أيضاً بأنه قد أسس مركزاً عاماً للجمعية الإصلاحية الوطنية التي هي عكس أفكار الحكومة ، وكذلك أكد للسلطات العثمانية بأنه و أتباعه قد منعوا منشورات المركز من التداول بين أفراد عشائرهم[20] . و عندما لم تحرك الدولة العثمانية ساكناً و لم تتخذ الإجراءات الملائمة فانه اضطر إلى إرساله رسالة أخرى في العام نفسه يبلغها بأنه مع عشائره ، قد شهر سيفه و قرر القتال ضد الأجانب الذين تجاسروا على أوطانهم و انه ينتظر الأوامر من الدولة العثمانية و قد جاء فيها ((أما الأجانب فقد أبدوا التجاسر على أوطاننا و المسلم ينقتل (يقتل) شرعاً عن ثلاثة أما عن دينه او عن عرضه او عن ماله ، فها أنا ذا شاهراً سيفي ومعي جميع قبائلي و عشائري فداءً لديني و وطني)) [21].

و في ضوء ما سبق ، يمكن القول ان الهدف الأساس للشيخ عجمي من تلك التحركات لم يكن نابعاً عن حبه للدولة العثمانية و إنما أراد التخلص من طالب النقيب عن طريقها او من خلالها.

و بعد ان فشلت جهوده في إثارة الدولة العثمانية ضد طالب النقيب ، بدا تحركه بنفسه و اتخذ مدينة الزبير قاعدة له ، و كوسيلة للضغط على والي البصرة ، بدأ حركته في تشرين الثاني عام 1912 ، بإشاعة إخبار مفادها انه سيتوجه لاحتلال البصرة بقوات يقدر عددها بأربعة عشر ألف مسلح ، فدب الذعر و الهلع في

نفوس السكان أغلقت الأسواق و مكاتب البنوك الأجنبية ، وهربت العوائل التجارية من البصرة إلى ضواحي مدينة العشار.[22] وأدى ذلك الأمر إلى استعانة طالب النقيب بفلاحي ابي الخصيب للدفاع عنه ، بحيث كان هناك حارس على كل نافذة و ممر في بيتهِ ، و على الرغم من استعداد الشيخ عجمي للهجوم على طالب النقيب ، لكنه تريث في ذلك ، واخذ بمراسلة السلطات العثمانية ، اذ بعث برسالة الى وزارة الحربية يطالب فيها بإبعاد الأخير عن البصرة ، مؤكداً ان النقيب و بالاشتراك مع وكيل الوالي هما سبب الاضطراب و الهيجان في ولاية البصرة، وطالب بتعيين والٍ جديد للبصرة يكون صادقاً وعفيفاً ومستقيماً ، وذكر في رسالة أخرى ((ان فساد طالب و خيانتهِ للدولة ظاهرة كالشمس من حيث مراجعتهِ للقناصل الأجانب و أخذه المعاشات و الهدايا منهم)) [23] .

و نتيجة لذلك تدخلت السلطات العثمانية ، حينما كثفت الرسل باتجاه الشيخ عجمي و طلبت منه العودة ، خوفاً من استغلال الإحداث من قبل البريطانيين[24] الذين كانوا يحاولون فرض نفوذهم في المنطقة ، وقد استعمل والي بغداد أساليب ودية في تهدئة الشيخ عجمي من اجل نزع فتيل الازمة نظراً لضعف إمكاناته العسكرية و عدم قدرته على مجابهة المقابل [25] .

و يبدو ان الدولة العثمانية لم ترغب في ان تجمع الخصمين و تنهي المشكلة نظراً لاستفادتها من الصراع الداخلي في منطقة المنتفك ، و يتضح ذلك الأمر من خلال ما ذكره القنصل البريطاني في البصرة عندما قال ((أنني ميال للاعتقاد بان ظهور الشيخ عجمي بجوار البصرة مرتب سلفاً من قبل السلطات العثمانية ، فهي غير مضطربة ألبته منه ، ولا تبدو لي جهودها لإبعاده جهوداً صادقة ربما اعتبرته قوة معادلة و أملت في استخدامه ضد الطموحات السياسية العربية او لتحويل انتباه زعيم المنتفك موشك على مهاجمة المدينة ، ان السيد طالب النقيب على علاقة سيئة بعجمي بصورة جلية و لا يفصح احدهما عن الآخر ، و يبدو ان هدفها فرض أنصار كل واحد منهما هو الإبقاء على الزعيمين متباعدين)) [26]. كذلك اشار النبهاني المعاصر للأحداث ان تحركات الشيخ عجمي كانت بإيعاز من الدولة العثمانية رغبة في التخلص من نفوذ طالب النقيب الذي كان يحضر قواته تمهيداً للاستيلاء على مقاليد الحكم في البصرة[27].

و على الرغم من التهدئة التي فرضتها السلطات العثمانية بين الطرفين ، ألا ان الوضع انفجر من جديد بسبب الأحداث التي حصلت بينهما و يأتي في مقدمتها ، ان الشيخ عجمي استغل الغارة التي شنها حمود الأمير شيخ عشيرة االصيامر (وهو موالي إلى طالب النقيب)على الغبيشية – مركز الشيخ عجمي – و نهبه أمواله و مواشيه ، اذ قدم الشيخ عجمي احتجاج إلى والي البصرة يتهم به النقيب صراحة بالتحريض على تلك الغارة[28] . و لم تتم الاستجابة لذلك الأمر ، فأرسل الشيخ عجمي برقية إلى وزارة الداخلية العثمانية يطلب فيها التدخل لإنهاء تجاوزات طالب النقيب عليه و إعادة حقوقه و أمواله المنهوبة ، كما انه هدد باستخدام القوة في حالة يأسه من تدخل السلطة[29]. ألا ان ذلك لم ينفع و عندما أصبح فريد بك متصرف لواء المنتفك قائداً

للجيش في البصرة عام 1913 فانه اتفق مع الشيخ عجمي على التخلص من طالب النقيب و اثني عشر رجلاً آخر من المناوئين للدولة العثمانية في البصرة ، واستناداً لذلك الاتفاق وصل الشيخ عجمي إلى البرجسية قريباً من البصرة و عسكر فيها ، ثم احتل مقر النقيب الذي كان في منطقة الشعيبه ، وأقام فيها بانتظار تنفيذ المهمة المتفق عليها ، اذ كانت تصله الأخبار و المراسلات مع فريد بك بشكل سري عن طريق محمد العصيمي[30]. و قبل تنفيذ تلك الخطة قام مجهولون بإطلاق النار على العصيمي[31] و هو في طريق العشارو كانت الحادثة من تدبير طالب النقيب للتخلص منه ، و نتيجة لذلك قام العصيمي بعد رجوعه إلى الزبير بالتعاون مع أميرها محمد المشري بالانتفاضة ضد الحامية العثمانية ،فاضطر مدير الناحية لطلب النجدة من مركز الولاية التي أنجدته بقوة مزودة بالمدافع أدت إلى السيطرة على المدينة ، ومع ذلك فقد تم اغتيال آمر حامية البصرة فريد بك و حاول كل من طالب النقيب و الشيخ عجمي السعدون إلقاء تبعية قتله على الآخر فالأول اتهم حمد السعدون شقيق عجمي لوجوده في البصرة يوم الحادث بينما حمل الشيخ عجمي طالب النقيب المسؤولية في ذلك لان فريد بك كان يميل لأهل الزبير و المنتفك[32].

اثر ذلك طلب الشيخ عجمي من إتباعه في الزبير تحذير الوالي محمد عزت باشا بأنهم سينضمون إلى الشيخ عجمي بالزحف على البصرة أذا لم يبتعد طالب النقيب عنها ، لكن نفوذ الأخير القوي جعل السلطات العثمانية تطلب من الشيخ عجمي ان يرجع إلى مكانه الأصلي[33].

و في ضوء ذلك ، أرسل الشيخ عجمي رسالة إلى السلطات العثمانية يعلمها بالتحركات الخطيرة التي يقوم بها طالب النقيب ، بل انه اتهمه بقتل فريد بك قائد الجيش في البصرة و الذي كان على علاقة طيبة بالشيخ عجمي ، كما ان الأخير استفهم من الحكومة العثمانية فيما اذا كانت بالفعل قد ساندت النقيب الذي اخذ يحرض والي البصرة على ان يجهز قوات عسكرية للقضاء على قوة الشيخ عجمي و عشائر المنتفك[34].

ولاجل الصلح توسط بين الطرفين المتنازعين عبد الكريم فهد باشا السعدون المقرب منهما على حد سواء ، فجمع الخصمين في 2 تموز 1913 في وليمة أقيمت في البصرة[35]. تمخض عنها الاتفاق على إنهاء الخلافات بينهما ، و ترافق معها إرسال الشيخ عجمي برقية إلى الصدارة العظمى يوضح فيها موقفه، ويبرئ فيها طالب النقيب مما نسب له من اتهامات و تحركات تضر بمصالح المجهود العام للدولة العثمانية و من جانبها منحت الدولة العثمانية لقب باشا للشيخ عجمي إزاء انضباطه و حسن تصرفه خلال تلك الأحداث[36].

وهنا يمكن ان نتساءل عن السبب الذي دفع الشيخ عجمي إلى التصالح مع خصمه طالب النقيب على الرغم مما كان يضمره له من عداء قديم و تذكره الدائم إلى حادثة قتل والده، و للإجابة عن ذلك ، يمكن القول ان الشيخ عجمي قد شعر ان الدولة العثمانية كانت تسعى للتخلص منهما بل من كل الشخصيات التي لها سطوة او نفوذ في المنطقة خوفاً من استئثارها بالسلطة ، لان الدولة العثمانية كانت تعاني من الضعف و

الانحلال آواخر عهدها لا سيما و أنها على علم بنفوذ و قوة الشخصين المتخاصمين ، خاصة و أنها قد عدت الشيخ عجمي في وقت سابق بأنه خارج عن القانون ، لذا فان تلك المشاعر و الأحاسيس كانت موجودة عند الشيخ عجمي و لا يمكن أثارتها في أي وقت ، الأمر الذي استفادت منه الدولة العثمانية لخدمة مصالحها السياسية ، و من ثم فان التكريم الذي حظي به من لدن الحكومة ، لم يكن ألا شكلياً او ظاهرياً او بالأحرى أرادت ان ترفع الروح المعنوية للشيخ عجمي و توحي له بأنه الأقوى و عليه الاستمرار في الصراع مع خصمه طالب النقيب .

وعليه فان الرأي السابق الذكر يبدو صائبا ، اذ ان العداء قد ظهر إلى السطح مرة أخرى على الرغم من التهدئة و الوساطة التي أنهت خلافاتهما السابقة ، ولم يصمد الصلح المعقود بينهما سوى أشهر قليلة ، اذ عاد الشيخ عجمي مرة أخرى و قدم شكوى إلى وزارة الداخلية العثمانية في 6 كانون الأول 1913 ضد طالب النقيب جاء فيها ((كراراً عرضنا لأعتابكم العالية كيفية أعمال و اوزاع طالب النقيب و عبثه في ولاية البصرة و أطرافها بواسطة موافقة المأمورين المحليين و اخصهم وكيل الوالي بناءً على اركاباتهم و دناءتهم حتى أنهم ساموا الوطن إلى الخسف)). وعرض الشيخ عجمي استعداده لتخليص البصرة من سطوة طالب النقيب ، فكتب ((ها أنا مع من يليني موقوفاً مرهوناً فدائياً بالمال و الأبدان منتظراً شرف صدور الأوامر لكي أفوز بإجرائها بكمال الشرف و الفخر)) [37].

و يبدو هذه المرة ان سبب إثارة العداوة بين الطرفين مصدرها الوالي العثماني في البصرة سليمان شفيق بك الذي اراد التخلص منهما لا سيما بتشجيع احدهما على الآخر، ويظهر ذلك من خلال دعمه للشيخ عجمي للهجوم على طالب النقيب و نجاحه عندما زار الوالي العثماني مدينة سوق الشيوخ في نيسان 1914 و لقاءه بالشيخ عجمي فأنهما اتفقا على تدبير مكيدة للتخلص من طالب النقيب الذي اخذ نفوذه يتعاظم في البصرة [38].

و مما تجدر الإشارة إليه ان الشيخ عجمي كان مسنوداً في تحركاته من قبل سعود بن عبد العزيز الرشيد أمير حائل الأمر الذي كشفه التقرير الذي قدمه القنصل البريطاني في البصرة في نيسان 1914 بقوله ((المقابلة جرت في سوق الشيوخ، وقامت قبيلتا الزعيمين – أي الشيخ عجمي و سعود الرشيد – باستعراض على شرف الوالي ، وقيل ان ابن الرشيد أهدى الوالي و الشيخ عجمي أهداه حصاناً و فرساً و خمسمائة ليرة عثمانية كما أهدى الشيخ عجمي حصاناً لكل من متصرف لواء المنتفك و قائمقام سوق الشيوخ و أهدى أيضاً ثلاث ليرات لمرافقي الوالي)) [39]

و يبدو ان ذلك الاتفاق قد تسبب في فقدان والي البصرة منصبه اذ تم تعين قدري بك واليا جديدا بدلا عنه ، وكان يتميز بعلاقات جيده مع طالب النقيب[40] و على الرغم من التغيير في أدارة ولاية البصرة ، لكن الشيخ عجمي استمر في مخططه عندما قام أنصاره بالهجوم على البصرة من جهة الزبير في أيار 1914 و

تبادلت القوة المهاجمة و حرس باب الزبير اطلاق النار أسفرت عن تراجع المهاجمين ثم اعد والي البصرة قوة لملاحقة المهاجمين إلى الزبير ، لكنها تكبدت بعض الخسائر و اضطرت للعودة إلى مدينة البصرة[41].

و من خلال ما سبق اتضح للدولة العثمانية قوة طالب النقيب ، ولذا فأنها حاولت التخلص من الشيخ عجمي عندما ساندت النقيب ، اذ آمر الوالي العثماني إرسال قوة أخرى إلى الزبير (مقر الشيخ عجمي) مؤلفة من ستمائة جندي و مجموعة من أتباع طالب النقيب و ستة مدافع ميدان ، ورافقها في الوقت نفسه قارب محمل بالمدفعية من جهة الهور شمال الزبير ليقوم بقصف المدينة [42]. و بعد اشتباكات عنيفة آدت إلى مقتل و جرح عدد من المسلحين و المدنيين.

دخل الوالي و طالب النقيب الى مدينة الزبير و اعلنت حالة الطوارئ فيها و تشكيل محكمة أصدرت أحكاما بأعدام ثلاثة من قادة الزبير من بينهم محمد العصيمي ، وبعد ان ترك قوة مؤلفة من خمسمائة جندي لحماية المدينة ، عاد الوالي و طالب النقيب إلى البصرة ، واثناء ذلك كان الشيخ عجمي متواجداً قرب الزبير[43] و ان قسماً منها ساهم في الدفاع عن المدينة و اشترك في المعركة ، و بعد ان احتلت قوات الوالي مدينة الزبير استجمع الشيخ عجمي قواته و وضع على أمرتها أخيه حمد فهاجمت الزبير ، حيث تتواجد القوات العثمانية و قتلت العشرات منهم و استولت على بعض أسلحتها قبل ان تتمكن القوات العثمانية من أخراجهم من المدينة [44].

و هكذا يلاحظ ان الشيخ عجمي أصبح عدواً للدولة العثمانية مرة اخرى و استمر ذلك الحال حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914 والتي عاد فيها ليقف إلى جانبها ليس حباً فيها و لا دفاعاً عنها بل دفاعاً عن الأرض العراقية التي تعرضت خلال الحرب إلى الاحتلال البريطاني و من ثم تبوأ فيها قيادة المجاهدين للوقوف ضد البريطانيين .

مرحلة النضال ضد الاحتلال البريطاني للعراق 1914- 1918

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام 1914 ، أعلنت الدولة العثمانية في 5 تشرين الثاني من العام نفسه انضمامها إلى جانب ألمانيا في حربها ضد الحلفاء (بريطانيا و فرنسا و روسيا) مما دفع السلطات البريطانية في الهند إلى إرسال قواتها إلى عبادان للسيطرة على منابع النفط ، فضلاً عن حماية مصالحها الاقتصادية في العراق الذي يتمتع بأهمية موقعه الستراتيجي [45].

و على اثر ذلك احتلت القوات البريطانية مدينة الفاو في 6 تشرين الثاني 1914 دون مقاومة تذكر من القوات العثمانية ثم واصلت تقدمها نحو مدينة البصرة[46] و بسبب ذلك لجأت الدولة العثمانية للتوسل برجال الدين لإعلان الجهاد ، وقد أرسلت وفودها الى المراكز الدينية و بخاصة النجف الاشرف ، فضلاً عن اتفاقها مع عدد من شيوخ القبائل للغرض نفسه[47].

بالاضافه الى ذلك فإن العراقيين بعد ان أدركوا الخطر البريطاني فأنهم استغاثوا أيضاُ برجال الدين يطلبون منهم ان ينهضوا بالأمر و يعلنوا الجهاد ضد البريطانيين ، و قد أدت تلك المطالب إلى ان اصدار العديد من كبار علماء الدين فتاوى الجهاد و كتبوا إلى العشائر بذلك[48] .

و أثناء تلك الأحداث لم يبق الشيخ عجمي مكتوف الأيدي و منعزلاً عن ما يجري من تطورات في المنطقة ، بل انه بمجرد سماعه بنزول القوات البريطانية في الموانئ العراقية وتقدمها نحو البصرة ، فقد وضع خلافاته السابقة مع الدولة العثمانية جانباً و سار بقواته المؤلفة من عشائر المنتفك الى ميدان المعركة في كوت الزين[49] ألا ان سرعة الانسحاب العثماني أمام القوات البريطانية حال دون اشتراكهم في المعركة[50] اذ عاد الشيخ عجمي الى البصرة و برفقته ابن عمه صالح بن عبد الهادي النصار و شبلي بك بن نهاد المنصور و معهم عشائر (الجوارين ، الشريفات ، و بعض عشائر البدور).[51]

و على الرغم من ذلك فانه كان يراقب الأوضاع في المعركة و في ذلك تذكر المس بيل (ان عجمي كان في يومي 16 و 17 تشرين الثاني 1914 يحوم حول موقع القتال بين الانكليز و العثمانيين ، وهو يقود مائتين و خمسين من الخياله) [52] و بذلك تمكنت القوات البريطانية من احتلال البصرة في 22 تشرين الثاني 1914 ، ثم أخذت بالتقدم نحو مدينة القرنه التي احتلتها في يوم الخامس و العشرين من الشهر ذاته[53] .

و مما تجدر الإشارة إليه، ان الشيخ عجمي السعدون بعد عودته من تلك المعركة فانه مارس دوراً قيادياً من اجل المحافظة على البصرة من الفوضى و الغوغاء التي كادت ان تعصف بالمدينة بعد دخول البريطانيين إليها ، كما انه عمل على حماية القوات العثمانية المنهزمة و ضباطها من القتل المتعمد من قبل السكان الغاضبين على ما حدث ، اذ أوصلهم بأمان إلى القوات العثمانية المتواجدة في مدينة الناصرية .[54]

و قبل سقوط البصرة بيد البريطانيين ، جمع الشيخ عجمي القوات الحكومية و خطب فيها قائلاً ((من له أهل في البصرة فليذهب لهم و من كان وطنه غير البصرة ، فليتبعنا و هو في الأمان حتى نوصله إلى مأمنه و أني قد عفوت عما حصل من بعضكم من الاذيه حيث انضمامكم مع قدري بك في حرب الزبير و أني متعهد للكل بالمساعدة التامة)).[55]

و بعد ذلك انسحب الشيخ عجمي بعشائره و القوات الحكومية العثمانية الى الخميسية بينما دخل البريطانيون البصرة ، وحدثت مواجهة بين قوات العشائر و البريطانيون في كانون الثاني 1915 ، قتل فيها من جانب العشائر عبد الله غالب السعدون. [56]

و يبدو ان الدور الذي قام به الشيخ عجمي قد لفت انتباه البريطانيين عليه ، و أدركوا ان وجوده يشكل مصدر قلق لهم ، لذا وجدوا ان استمالته إليهم سيعني القضاء على حركة المقاومة ، لذلك الحوا في الكتابة إليه ، اذ أرسل إليه السير برسي كوكس في 30 كانون الثاني 1915 شخصا من أخواله يدعى (فرحان الرحمة) عارضاً عليه مبلغ ثلاثمائة ألف جنيه إسترليني مقابل التخلي عن الأتراك العثمانيين و التزام الحياد ، لكنه رفض ذلك . [57] ، كما حاول كوكس مرة اخرى عقد اجتماع معه في الشعيبه لكنه رفض ذلك المقترح أيضاً .[58] و كرر كوكس الطلب بأنه على استعداد للقائه في أي مكان يختاره الشيخ عجمي[59] و قد برر ذلك بقوله ((لأني لا أخشى على نفسي من أمثال هذا فيما اذا إعطاني وعداً حتى لو كنت بمفردي لان الوعد من وفي كهذا يقوم مقام العهد)) و قد رفض الشيخ عجمي ذلك أيضاً قائلاً للرسول و يدعى هادي الشنين ((لو كانت الغلبة للعرب و الإسلام كما كانت بالأمس و أتيته غازياً لوطنه لندن . . . هل سيقبل بمقابلتي ام يترك الكلام للسيف)).[60]

و على الرغم من ذلك استمر برسي كوكس في محاولاته الرامية لجذب الشيخ عجمي إلى جانبه عندما بعث أليه رسالة جاء فيها ((نبارك النسب السعدوني الهاشمي في الجزيرة العربية و شجاعة أبنائكم و أخوانكم و نقدر مواقفكم من الأتراك ، نعرض عليكم كأمير عربي و نود ان نعلمكم ان الشيخ مبارك أمير الكويت و عبد العزيز أمير أرضه تخلو عن الترك و إننا نعرض عليكم أميراً على أرضك، لا تضيع الفرصة على اهليكم يا شجاع نقدر فيك الموقف ،نعرض عليك لأنك أحق من غيرك)). [61]

ومع تلك الإغراءات و الوعود التي قدمها البريطانيون للشيخ عجمي ، لكنه رفضها و طلب بدلا منها تعهد بريطانيا باستقلال العراق على ان يتم إعلان ذلك بشكل علني.[62] و إزاء ذلك فشلت المفاوضات بعد ان عرض البريطانيين بدلاً عن ذلك مكافأة شخصية و امتيازات واراض زراعية و غيرها ، لكنه احتقر تلك العروض و أهملها.[63] و بعد صدور فتاوى الجهاد التي قادها السيد محمد سعيد الحبوبي ،استجاب العديد من ابناء المدن العراقية لتلك الحملة الجهادية ،حيث انظم اليه المجاهدين من مدينة كربلاء التي كانت من اولى المدن العراقية في تلبية نداء

الجهاد بالاضافة الى المدن الأخرى التي انخرط ابناءها في تلك الحملة ومنها الكاظمية والنجف والحلة والسماوة ، وتوجه المجاهدين نحو الناصرية التي اتخذت مركزاً لتجمعهم ، لبى الشيخ عجمي نداء الجهاد و أصبح من زعماء قادته ، وأدى دوراً كبيراً في معركة الشعيبه[64] و قبل ان تبدأ قوات المجاهدين تقدمها نحو الشعيبه ، اتخذ الشيخ عجمي بالاستعداد لها من خلال إرساله عدد من الرسائل إلى رؤساء العشائر و رجال الدين لغرض التهيئة و الاستعداد الكامل لخوض غمار معركة فاصلة ضد الأجانب ، اذ بعث رسالة إلى الشيخ باقر حيدر[65] اكد فيها انه توجه نحو عشائر البدور لحثهم على الجهاد و التشاور معهم بخصوص المواجهة مع قوات الاحتلال. [66]

و في أوائل نيسان عام 1915 ، وصل المجاهدون و القوات العثمانية إلى ضواحي الشعيبه[67] و قررت القيادة العثمانية بزعامة سليمان عسكري تقسيم هذه القوات إلى ثلاث أقسام ،تولى الجناح الأيمن الشيخ عجمي بالتعاون مع القائد العثماني ضياء بك.[68] و كانت تحت قيادته و تصرفه ما يقارب تسعة ألاف مقاتل اغلبهم من العشائر التي انضمت إلى الشيخ عجمي [69] و كانت الخطة الهجومية التي وضعها العثمانيون تقتضي بان يقوم الجيش العثماني بالهجوم من القلب ، و المجاهدون من الجناحين ، اذ يكون الجناح الأيمن مؤلفاً من مجاهدي المنتفك و هم بقيادة الشيخ عجمي السعدون ، أما الجناح الأيسر فيكون بقيادة السيد محمد سعيد ألحبوبي.[70] و على الرغم من ذلك التقسيم ، ألا ان الشيخ عجمي لم يكن مقتنعاً بتلك الخطة و كان رأيه ان الهجوم المباشر على موقع الشعيبه المحصن غير مجدٍ ، بل يجب الاكتفاء بمحاصرته و شن الغارات عليه و قطع خطوط مواصلاته و القيام بشن غارات مستمرة لإيهام البريطانيين و مخادعتهم و مهاجمة البصرة و منشآتها العسكرية[71] ألا ان رأيه لم يؤخذ به و استمر القائد العثماني سليمان عسكري متمسكاً في رأيه بمهاجمة القوات البريطانية المتواجدة في الشعيبه.[72]

و في ضوء ذلك ، بدأت العمليات العسكرية في 12 نيسان 1915 و استمرت ثلاثة أيام ، تمكنت خلالها القوات البريطانية من الانتصار على القوات العثمانية و قوات المجاهدين المتحالفة معها . [73]

و مهما يكن من آمر فان الشيخ عجمي قد ادى دوراً كبيراً و مؤثراً في تعبئة المجاهدين و تعزيز معنوياتهم[74] حيث غدا اسمه مضرب الأمثال في الشجاعة و الشهامة و حكيت حول أعماله أساطير كثيرة ، فقد كان يهاجم المفارز البريطانية و لا سيما الخياله منها ، فينقض عليها على رأس فرسانه المنتشرين بمسافات متباعدة لتجنب تأثير نيران المدافع البريطانية ، وكان اولئك الفرسان يتجمعون في لحظة الهجوم بإشارة منه فيهجمون بسرعة البرق الخاطف مخلفين بالجانب البريطاني خسائر فادحة ثم يقودهم الشيخ عجمي بسرعة مذهلة إلى حيث تبتلعهم الصحراء. [75] فضلاً عن ذلك ، وصف مؤرخ أخر شجاعة الشيخ عجمي بالقول ((كان عجمي أعظم ان لم يكن في الواقع العبقرية العسكرية الوحيدة التي أنجبتها العرب خلال الحرب و كانت صفاته تستحق اعترافاً أفضل و نجاحاً اكبر حظاً ، وعلى الرغم من انه كان عدونا لا يمكننا إنكارنا للطريقة

و الشكل الذي استمر فيها في خدمة قضية خسارة و لا مستقبل لها على مدى سنوات الحرب في الصحراء على الجانب الأخر من الفرات ، كان دوماً سهماً في لحمنا و عاملاً توجب علينا ان نحسب له حساباً)). [76]

و على الرغم من ثقل الهجمات البريطانية التي كانت تتركز على الشيخ عجمي ألا انه و مقاتليه صمدوا بوجهها ، الأمر الذي دفع البريطانيون إلى توجيه هجماتهم نحو القوات العثمانية التي سرعان ما انهزمت ومعها جميع القوات الأخرى.[77]

و على أية حال ، فان شجاعة و بسالة الشيخ عجمي كانت واضحة ، اذ ذكر العسكري العراقي تحسين العلي الذي شهد معركة الشعيبه بعضاً من بسالة الشيخ عجمي و جنوده ، فقال ((لو لا قوات العشائر و خصوصاً خيالة عجمي باشا السعدون التي أبلت بلاءً حسناً في صد خيالة العدو و الذود عن قطعاتنا المتراجعة تحت وطأة الهجوم الانكليزي الشديد لما سلم منها احد ، اذ كان عجمي باشا يحمي مؤخرة الجيش المنسحب برجاله لدرجة انه حال دون وقوع المدافع العثمانية بيد الانكليز و نجح في امتلاكها بأكملها على الرغم من ان الانكليز كانوا يتعقبون الجيش المتراجع إلى الغبيشية و الخميسية)) ، و في الصدد ذاته يقول عبد العزيز القصاب ((بقي أتباع عجمي السعدون يصولون و يجولون في ساحة المعركة قاتلوا في اليوم الأول بضراوة و لم يتكبدوا ألا القليل من الضحايا ثم قرروا في الأيام التالية ربط نفسهم بالحبال عازمين على القتال حتى آخر قطرة من دمهم ، كان عددهم في هذا القطاع خمسة و أربعين مقاتلاً استشهدوا جميعهم)). [78]

و بعد الانكسار الذي تعرضت له القوات العثمانية و قوات المجاهدين ، اهتزت ثقة معظم العشائر العراقية بها ، و كان ذلك سبباً في ضعف الإسناد العشائري لمقاومة قوات الاحتلال باستثناء الشيخ عجمي الذي استمر في ولائه للعثمانيين ومواصلته القتال ضد البريطانيين معظم سنوات الحرب العالمية الأولى . [79] اذ اخذ زمام المبادرة في تشجيع العشائر الأخرى للوقوف إلى جانبه و طي صفحة الهزيمة التي لحقت بهم و قد أرسل برقية إلى الشيخ عبد الحسين مطر أوضح فيها ما حققه المجاهدين من انتصارات في بداية مواجهتهم للقوات البريطانية ، كما أكد له انه على الرغم من انكسار المجاهدين و خسارتهم المعركة مع البريطانيين و توجه قوات الاحتلال نحو مناطقهم ومدن الناصرية الأخرى ، فان تلك الأمور لم تثن عزيمته بل هو مستمر في التعاون مع العشائر من اجل مواجهة البريطانيين و طردهم من البلاد. [80]

و في الوقت نفسه استمر البريطانيون بالتقدم بعد انتصارهم في معركة الشعيبه و واصلت قواتهم سيرها نحو مدينة الناصرية التي تحصن على أطرافها الشيخ عجمي و عدد كبير من أبناء العشائر و المجاهدين الذين التفوا حوله ، والحقوا خسائر كبيرة بالقوات البريطانية ، لكن ذلك لم يمنعهم من دخول المدينة في3 تموز عام 1915 ، و في تلك الأثناء دخلت قوات المنتفك في معركة ضارية مع المحتلين قرب منطقة (مجينينة)التي لم تسقط ألا بالتفاف قامت به السفن البريطانية عبر الاهوار.[81]

و نتيجة ذلك انسحب الشيخ عجمي إلى الخميسية لتكون مقراً له ، مما دفع البريطانيون إلى تكليف ثامر بك السعدون للسيطرة عليها ، اذ قام بمهاجمتها بعد ان جمع أتباعه و كان يرافقهم السيد إبراهيم البعاج ، وبعد مناوشات حامية و معارك شديدة تمكن الشيخ عجمي من طرد المهاجمين[82] ، وأصبحت الخميسية مركزاً رئيساً لانطلاق غاراته الهجومية ضد الأعداء و تقديراً لهذه الجهود منح الأتراك العثمانيون الشيخ عجمي في تموز 1915 رتبة مير مران أي أمير لواء و لقب باشا.[83]

لم يستقر الشيخ عجمي طويلاً في الخميسية بسبب التهديد البريطاني المستمر له ، لذا قرر الانتقال بقواته إلى منطقة الرميلة التي تتوسط بين السماوة والخضر وانشأ فيها معسكره الجديد [84] ، اذ واصل فيها محاولاته لاستقطاب القبائل و حشدها للوقوف بوجه البريطانيين و تمكن من هزيمتهم عندما كانت قواتهم تتقدم عن طريق البر و متجهة نحو السماوة و ذلك في 15 تموز 1916 قرب منطقة عين صيدا[85] و كذلك هزمت قوات البريطانيين المحمولة في السفن في المدة نفسها من قبل القوات التي يقودها شقيق الشيخ عجمي – سعود بك – الأمر الذي اضطر البريطانيين لاستخدام الطائرات في ضرب قوات الشيخ عجمي في الرميلة ، لكن ذلك لم يؤثر فيهم او في معنوياتهم[86] و في ضل تلك الظروف بقي الشيخ عجمي في موقعه على أطراف الصحراء ، أشبه بنقطة وسطية مع أمارة حائل و القوات العثمانية المتراجعة ، يتعاون معهما في توفير التموين الغذائي لهما رغم الحصار الاقتصادي الذي فرضه البريطانيون ضامناً سلامة الطريق بوجوده و قد ردت السلطات البريطانية على نشاطاته تلك بمصادرة أراضيه و أراضي أقاربه و مؤيديه.[87] و على الرغم من المضايقة التي تعرض لها من القوات البريطانية ، ألا ان ذلك الأمر لم يجعله يتراجع عن طريق تحقيق أهدافه بل زاده إصراراً على مواصلة مسيرته في مواجهة القوات البريطانية و التصدي لها ، اذ اخذ زمام المبادرة في أثارة القبائل ضد قوات الاحتلال.[88] و شكل خطراً كبيراً بالنسبة لبريطانيا و جعلها تشعر بالقلق حيال تحركاته ، الأمر الذي يتضح من وصف المس بيل له ، بأنه ((لم يترك شكاً حول الطريق الذي عاهد نفسه ان يسير فيه و كان كالرمح الطليق محافظاً على هيبته و جلال قدره)). [89]

و من الجدير بالذكر، ان تحركات الشيخ عجمي اتسعت و اتخذت طابعاً اكبر بدلاً من انحسارها على مستوى مناطق المنتفك ، اذ انه بعد ان نقل مقره إلى أطراف مدينة النجف عام 1917[90] اخذ يتعاون مع الشيخ عطية أبو كلل –الذي استطاع ان يشكل حكومة داخلية في مدينة النجف – و قد كان لتعاون الشيخ عجمي معه قد هيأ لتلك الحكومة أمكانية الاستقرار و الديمومة من خلال سيطرته على بادية الشامية و خوف القبائل الطامعة من سطوته ، كما ان الشيخ عجمي

وفر الأمان التام لطرف التجارة من والي النجف مما ابعد عن هذه المدينة و ما يحيطها شبح المجاعة الذي خيم على اقسام كبيرة من العراق خلال تلك المدة.[91]

و في الوقت الذي كانت فيه مقاومة الشيخ عجمي لمسيرة القوات البريطانية التي احتلت اغلب مناطق العراق ، فان تلك القوات كانت تضغط عليه باستمرار و تهاجمه ، فضلاً عن ذلك فان تردي الأوضاع العسكرية العثمانية في جبهات القتال المتعددة في النصف الثاني من عام 1918 وهزيمتهم أمام البريطانيون ، كل ذلك أدى الى انتقال الشيخ عجمي و من بقي من قواته الى أعالي نهر دجلة ليدخل أراضي عشائر عنزة في محاولته للالتحاق بالجيش العثماني و مواصلة كفاحه ضد البريطانيين [92] و بعد وصوله إلى الموصل عند عشائر شمر و التحاقه بالجيش العثماني ، كان يرافقه العديد من أبناء المنتفك و بشكل خاص عشائر (اتحاد المجرة) ، ألا ان اغلبهم عاد لديارهم[93] بعد ان وقعت هدنه مودرس في 30تشرين الأول 1918 التي أنهت حالة الحرب بين بريطانيا و الدولة العثمانية [94] الا ان الشيخ عجمي استمر في مواصلة نضاله حتى هجرته إلى الأناضول الأمر الذي يتوقف عنده البحث.

و مما تجدر الإشارة أليه، ان الشيخ عجمي بعد وصوله إلى تركيا ، كوفئ على مواقفه السابقة في الحرب بإقطاعه قرية (قرموش) في إقليم اورفه جنوبي تركيا تعويضاً عن أملاكه الواسعة التي تركها في العراق ، و بقي طيلة حياته في تركيا رغم إصدار قرار بالعفو عنه عام 1921 ، و لم يات إلى العراق إلا في عام 1940 و بقي مدة قصيرة ، عاد بعدها ليكمل حياته هناك حتى وفاته في 4 تشرين الثاني 1960(95).

الخاتمه :

ورث الشيخ عجمي صراعاً طويلاً و خلافاتٍ عميقة خلفها والده مع العشائر الأخرى ، او مع الدولة العثمانية ، وهذا ما جعل الشيخ عجمي منشغلاً بمواجهة تلك الخلافات و التخطيط في التصدي لها حتى و ان تطلب ذلك الأمر التحالف مع العشائر القاطنة خارج العراق و التي تربطه بها علاقات قوية ، بل و الأكثر من ذلك الاعتماد على الدولة العثمانية التي نصبت له العداء ، الأمر الذي يؤكد الأسلوب السياسي و تفننه في التعامل مع الإحداث التي مرت بها المنطقة من خلال استخدام أكثر من أسلوب في صراعاته مع أعداءه.

ان المدة التي تزعم فيها الشيخ عجمي مشيخة السعدون و زعامته للمنتفك لم تشهد الاستقرار بل أنها كانت مليئة بالإحداث و المعارك و الصراعات سواء المحلية في المرحلة الأولى من نشاطه السياسي التي تمثلت بما سمي في البحث بـ (الصراع) ، و كذلك المرحلة الثانية التي خاض فيها إلى جانب عدد كبير من

الشخصيات السياسية و الدينية صراعاً مريراً مع الاحتلال البريطاني ، و من ثم انشغال الشيخ عجمي في كيفية مواجهة عملية الاحتلال و التخطيط لمقاومة المحتل و التعاون مع كل من يريد الوقوف بوجه البريطانيين . اذ استمر يقاوم بالرغم من عدم التكافؤ بين الطرفين رافضاً جميع المحاولات التي أرادت شراءه و كسبه إلى جانبهم مقابل ان يترك المقاومة لكنه استمر في نضاله حتى بعد سقوط العراق بشكل كامل تحت الهيمنة البريطانية التي رفض الانضواء تحت ظلها مفضلاً العيش خارج العراق لكي لا يرى البلاد و هي خاضعة لسلطة الاحتلال .

هوامش البحث :

(1) عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية ، مطابع دار لبنان ، بيروت ، 1972 ، ص77.

(2) اسم مقاطعة من مقاطعات أراضي البدور تقع شمال غرب مدينة الناصرية.

(3) و هو الشيخ عجمي بن سعدون بن منصور بن راشد بن ثامر بن سعدون الأكبر بن محمد بن مانع ، ولد عام 1881 في الحويزة ، و لذا سمي بـ عجمي نسبة لولادته في أراضي العجم و توفي عام 1960 في تركيا التي منحته أملاكاً لوقفته الشجاعة مع الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى و هو آخر زعماء السعدون الذين تولوا زعامة أمارة المنتفك خلال المدة 1911 – 1918 : حسن علي خلف ، المفصل في تاريخ مدينة الناصرية دراسة تاريخية سياسية ، ج1 ، دار المرتضى للطباعة ، ط1 ، 2005 ، ص 198 ، كذلك ينظر مقال منشور على الموقع : www.alsadoon.com/vb/showthread.php?T=808 ص2

(4) علي ناصر حسين ، شيوخ و عشائر لواء المنتفك في الوثائق البريطانية دراسة لأحوال عشائر المنتفك منذ أواخر العهد العثماني الى نهاية الملك فيصل الأول 1933 ، بغداد ، 2008 ، ص 30 .

(5) لغة العرب ، العدد3 ، 1913 ، ص 113.

(6) حميد حمد السعدون ، أمارة المنتفق و أثرها في تاريخ العراق و المنطقة الإقليمية 1546 – 1918 ، دار وائل للطباعة و النشر ، ط1 ، عمان ، 1991 ، ص 243.

(7) H.R.P Dickson , The Arab of The Desert , London, 1984, P. 55.

(8) وزارة الأعلام ، لغة العرب ، دار الحرية للطباعة بغداد ، 1971، ص 73.

(9) عبد الجليل الطاهر ، المصدر السابق ، ص 88 .

(10) خالد حمود السعدون ، الأوضاع القبلية في ولاية البصرة العثمانية 1908 – 1914 ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة ام القرى ، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، 1984 ، ص 291 .

(11) ارنولدت ولسن ، بلاد ما بين النهرين بين ولائين ، ترجمة فؤاد جميل ، ط1 ، بغداد ، 1969، ص51 .

(12) ألبرت منتشافيلي ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة هاشم التكريتي ، بغداد 1978، ص 108 .

(13) علي ناصر حسين ، المصدر السابق ، ص 242 .

(14) محمد بن خليفة النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ج1 ، تاريخ المنتفق ، ط1 ، القاهرة ، 1944 ، ص 146 .

(15) مقال منشور على الانترنت على الموقع : www.alsadoon.com/vb/showthread.dhpT=808 ص2

(16) حميد حمد السعدون ، المصدر السابق ، ص 247 .

(17) عبد العال وحيد عبود العيساوي ، لواء المنتفق في سنوات الاحتلال البريطاني 1914 – 1921 ، دراسة في أحواله الإدارية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية ، النجف ، 2008 ، ص 50 .

(18) مقال منشور على الانترنت على الموقع : www.alsadoon.com/vb/showthread.dhp?T=808 ص3

(19) لغة العرب ، العدد 27 ، 1913 ، ص 219 .

(20) سنان معروف اوغلو ، العراق في الوثائق العثمانية – الأوضاع السياسية و الاجتماعية في العراق خلال العهد العثماني ، دار الشروق ، عمان ، 2006 ، ص 203 .

(21) المصدر نفسه ، ص 202 .

(22) . حسين علي عبيد ، الزبير في العهد العثماني 1571 – 1914 ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة البصرة ، 1988 ، ص 181 .

(23) مقال منشور على الانترنت على الموقع : www.alsadoon.com/vb/showthread.dhp?T=808 ص3

(24) حميد حمد السعدون ، المصدر السابق ، ص 247 .

(25) خالد حمود السعدون ، المصدر السابق ، ص 263 .

(26) المصدر نفسه ، ص 226 .

(27) محمد بن خليفة النبهاني ، المصدر السابق ص 320 .

(28) مقال منشور على الانترنت ، المصدر السابق ص 4 .

(29) سنان معروف اوغلو ، المصدر السابق ، ص 201 .

(30) و هو محمد براك العصيمي ، إحدى الشخصيات القوية و ذات النفوذ في الزبير في بداية القرن العشرين ، تسلم منصب رئيس الحمارة ، و اتخذ من مقر خالد باشا السعدون بعد وفاة الأخير مقراً له ، و كان ووكيلاً لدى مزعل باشا السعدون ، احد شيوخ المنتفك لمراقبة أمواله و بساتينه في البصرة ، اجتمع بعد

وفاة الأخير عند سعدون باشا السعدون نتيجة لخلاف بينه و بين السيد طالب النقيب حول أملاك السعدون في البصرة ، حسين علي عبيد ، المصدر السابق ، ص 179 .

(31) مقال منشور على الانترنت ، المصدر السابق ، ص 40 .

(32) حسين علي عبيد ، المصدر السابق ، ص 180 .

(33) خالد حمود السعدون ، المصدر السابق ، ص 260 .

(34) سنان معروف اوغلو ، المصدر السابق ، ص 204

(35) مقال منشور على الانترنت ، المصدر السابق ، ص5.

(36) حميد حمد السعدون ، المصدر السابق ، ص248.

(37) مقال منشور على الانترنت ، المصدر السابق ، ص5.

(38) علي ناصر حسين ، المصدر السابق ، ص67.

(39) Stugelett Peter , Britain in Iraq 1914-1932, London, 1976, P.650.

(40) مقال منشور على الانترنت ، المصدر السابق ، ص6.

(41) حسين خلف الشيخ خزعل ، تاريخ الكويت السياسي ، ج2 ، بيروت ، 1962 ، ص270.

(42) حسين علي عبيد ، المصدر السابق ، ص 182.

(43) خالد حمود السعدون ، المصدر السابق ، ص296.

(44) حسين خلف الشيخ خزعل ، المصدر السابق ، ص270.

(45) عبد العالي وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص62.

(46) المس بيل ، فصول تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ، 1971 ، ص40.

(47) حسين علي خلف ، المصدر السابق ، ص185.

(48) المس بيل ، المصدر السابق ، ص13.

(49) قرية تقع على الشاطئ الأيمن من شط العرب مقابل المحمرة تقريباً ، حيث وقعت هناك معركة ضارية بين البريطانيين و القوات العثمانية في 17 تشرين الثاني 1914 ، فاطمة فالح جاسم ، دور نواب لواء المنتفك في مجلس النواب العراقي 1925 – 1945 ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة ذي قار ، 2009 ، ص4 .

(50) عبد العالي وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص63.

(51) مقال منشور على الانترنت ، المصدر السابق ، ص57.

(52) المس بيل ، المصدر السابق ، ص15.

(53) فاطمة فالح جاسم ، المصدر السابق ، ص4.

(54) المس بيل ، المصدر السابق ، ص16.

(55) مقال منشور على الانترنت ، المصدر السابق ، ص7.

(56) لقاء مع الأستاذ وميض جميل حيدر بتاريخ 2010/12/27م وهو من مواليد 1961 وهو مدرس ومن عائلة علمية معروفة (عائلة ال حيدر)مقرها في مدينة سوق الشيوخ.

(57) مقال منشور على الانترنت ، المصدر السابق ، ص7.

(58) حميد حمد السعدون ، المصدر السابق ، ص 251 .

(59) المس بيل ، المصدر السابق ، ص12.

(60) مخطوطة موجودة في السجل الوثائقي ، مكتبة جميل حيدر ، بدون رقم .

(61) مقال منشور على الانترنت على الموقع : http://ar.wikpedia.org/wiki/%d890A7090-d10 ص1

(62) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج4 ، بغداد ، 1978 ، ص 175.

(63) حميد حمد السعدون ، المصدر السابق ، ص251.

(64) تقع على بعد تسعة أميال من الجنوب الشرقي للبصرة و كانت في ذلك الوقت تحتوي على قلعة قديمة و بضع دور سكنية واسعة بناها بعض أغنياء البصرة لتكون مصائف لهم ، و قد أدرك البريطانيون أهمية موقعها لحماية البصرة ، فاهتموا بتحصينها بالخنادق و الأسلاك الشائكة و أكياس الرمل ، شكري محمود نديم ، المصدر السابق ، ص30. ،كذلك ينظر عطية دخيل عباس ،الحلة في سنوات 1914-1921 دراسة في الاحوال السياسية والادارية ،اطروحة دكتوراه ،بغدا د ،التربية ابن رشد ،1998،ص42.

(65) و هو ابن الشيخ علي بن الشيخ محمد علي ال حيدر ، ولد في النجف من أسره عربية علمية قطنت سوق الشيوخ منذ مدة بعيدة ، و هو مجاهد و فقيه ، و كان له دور كبير في معارك الجهاد ضد البريطانيون عام 1915: جميل حيدر ، مختصر تاريخ ال حيدر ، كتاب مخطوط غير منشور ص1.

(66) مخطوطة موجودة في السجل الوثائقي ، مكتبة ال حيدر ، بدون رقم.

(67) مجموعة باحثين ،المفصل في تاريخ العراق المعاصر ، بين الحكمة ، بغداد ،2002 ، ص127.

(68) عبد العالي وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص 76.

(69) المس بيل ، المصدر السابق ، ص14.

(70) عبد الله فياض ، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920 ، ط2 ، بغداد ، 1975 ، ص153.

(71) حسن علي خلف ، المصدر السابق ، ص 190.

(72) كامل سلمان الجبوري ، النجف الاشرف و حركة الجهاد عام 1332هـ /1914م ، حقائق و وثائق و مذكرات من تاريخ العراق السياسي لم تنشر من قبل ، مؤسسة المعارض للمطبوعات ، بيروت ، ط1 ، 2002 ، ص 131.

(73) فاطمة فالح جاسم ، المصدر السابق ، ص7.

(74) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص145.

(75) كامل سلمان الجبوري ، المصدر السابق ،132

(76) مقال منشور على الانترنت على الموقع : www.wikipedia.org/wikii/%d8%A7% ص9

(77) محمد بن خليفة النبهاني ، المصدر السابق ، ص153.

(78) مقال منشور على الانترنت على الموقع www.alsadoon.com ص8

(79) علي ناصر حسين ،المصدر السابق ، ص37.

(80) مخطوطة موجودة في السجل الوثائقي ، مكتبة ال حيدر ، بدون رقم.

(81) حميد حمد السعدون ، المصدر السابق ، ص254.

(82) . عبد العالي وحيد عبود العيساوي ، المصدر السابق ، ص 83.

(83) لقاء مع الأستاذ وميض جميل حيدر بتاريخ 2010/12/27م .

(84) محمد بن خليفة النبهاني ، المصدر السابق ، ص276.

(85) حميد حمد السعدون ، المصدر السابق ، ص255.

(86) محمد بن خليفة النبهاني ، المصدر السابق ، ص247.

(87) J.B. Phillby, Arabian Days , London, 1948 , P 115.

(88) حميد حمد السعدون ، المصدر السابق ، ص256.

(89) المس بيل ، المصدر السابق ، ص84.

(90) محمد بن خليفة النبهاني ، المصدر السابق ، ص278.

(91) ستيفن هيمسلي لونكريك ، العراق الحديث 1900 – 1950 ، ج1 ، ترجمة سليم طه التكريتي ، الفجر للنشر و التوزيع ، بغداد ، 1988 ، ص 161.

(92) محمد بن خليفة النبهاني ، المصدر السابق ، ص280.

(93) حميد حمد السعدون ، المصدر السابق ، ص257.

(94) هنري فوستر ، نشأة العراق الحديث ، ج1 ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ، 1989 ، ص113.

(95) مقال منشور على الانترنت على الموقع: www.alsadooon.com ص10